مجلة الرائد

العدد : ١٩٣ الموافق في جمادى الأولى ١٤١٨ هجري ١٠/١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : تأملات في معان كريمة	بقلم : إبراهيم عبد الله

ورد في العدد ١٨٩ من مجلة الرائد الصادر في أبريل/ نيسان ١٩٩٧ الموافق لِـ ذي القعدة ١٤١٧هـ موضوعان ؛ أولاهما للأستاذ عصام العطار ، والآخر للأستاذ صلاح الدين بن إبراهيم ، ونظراً لما يحملانه من معان كريمة أثارتني لبعدها الإنساني الكبير ، فقد وجدت نفسي أخط على هامشهما هذه التأملات التي أريد أن أشرك فيها غيري من قراء مجلة الرائد الغراء . وسأحاول في هذه التأملات أن أقف وقفة عجلى عند فكرتين اثنتين أهمتاني منذ أن قرأت الموضوعين المذكورين.

أما الفكرة الأولى التي يستخلصها قارئ مقال الأستاذ صلاح الدين المعنون بِـ " حولوا الشعار إلى واقع " ، فهي : **أهمية النقد وضرورته في كل عمل يريد لنفسه الحياة ، وأن عدم اعتبار النقد السليم مظنة الفساد.**

❋ أما الفكرة التي يستخلصها قارئ المقال الثاني : { **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** } من جملة ما يستخلص ، فتقول **بأهمية تزكية النفس وضرورتها لمن أراد أن ينجو بنفسه ، ويفيد الناس من حوله.**

وسأقف عند الفكرتين معاً ، لأنهما تسدان ثغرة كبيرة في صرح العمل الإسلامي المعاصر ، أفصح من خلالهما عن بعض من هذه التأملات ، قبل أن أسمح لنفسي بالتطفل على { صوت المرأة المسلمة }.

يؤكد الأستاذ عصام على **مفهوم التزكية** من خلال تأمل مثير للآية الكريمة { **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** } ، وفي تأمله هذا يعطي معنيين للتزكية ؛ **معنى التخلية ومعنى التحلية** . المعنى الأول يكشف عن رغبة عميقة في تطهير النفس مما يشوبها من شوائب " الشرك والنفاق والرياء والفجور والذنوب والعيوب " ، مع تحذير حازم من تدسية النفس ، أي من إفسادها وإعانتها على الفجور ، وخنق مواهبها واستعداداتها الطيبة . وبهذا التطهير ، الذي هو عملية عسيرة ولا شك ، تصبح النفس مهيئة للمرحلة الثانية ؛ مرحلة اكتساب الخلال التي تشرف بالفرد إلى مراقي الفضيلة المعرفية والخلقية ، مرحلة إصلاح النفس وتنمية مواهبها واستعداداتها الطيبة ، وسائر جوانب القدرة والتقوى والخير ، وهو لب المعنى الثاني الذي يجعل المرء مؤهلاً للعطاء البناء ، يقدم لبنة صغيرة إلى جانب

لبنات يقدمها إخوة له في الحق . ومن هنا تصبح " تزكية النفوس حاجة من أهم حاجات البشر ، وعنصراً ضرورياً من أجَل عناصر رسالات الرسل..." وهذا العمل في الميدانين معاً ميدان التخلية وميدان التحلية ، عمل قاصر إذا ظن المرء أنه يستطيع بمفرده أن يقوم به ، وإلا فسيكون كالساعي للهيجاء بدون سلاح ، ويبرز من هنا أهمية التعاون الخلاق الذي ينبه إليه أول هذا المقال وينتهي به ، فالأخذ بأيدي أصحاب المواهب ؛ **إذ يجب على كل مجتمع إسلامي أن يسعى لاكتشاف مواهب أبنائه وأفراده واستعداداتهم الطيبة ، وما يملكون من طاقات وإمكانات ، وأن ينميها ويوجهها ، ويبلغ بها أقصى مداها...** ، (التشديد مني) ، وهو تعاون يرفعه المقال إلى مستوى الواجب العيني ، ويجعله شرطاً لصنع المستقبل. لكن هذا التعاون لا قيمة له إذا لم يقم كل "مسلم صادق... لاكتشاف ما وهبه الله تعالى من المواهب والاستعدادات الطيبة والطاقات والقدرات ، **وأن ينميها ويسددها ، ويبلغ بها غاية ما يستطيع ، فهذا جهاد جليل يغفل عنه كثير من الناس**... (التشديد مني). وعندما تتضافر جهود الفرد الذاتية مع جهود الجماعة الموضوعية ، ويؤخذ الفرد في الجماعة الإنسانية التي ينتمي إليها بكثير من السماحة والرفق والتجرد من أجل تنمية المواهب ، ومن أجل فتح الباب أمامه للإفصاح عن آرائه مهما ظهر للبعض ابتذالها ، والتعبير عن مواقفه مهما ظهر للغير سفسافها - إذ كان الخطأ مهيع التعلم وكانت التجربة طريق الحلم - عندئذ فقط ينفتح باب النقد وتبدو ضرورته وأهميته في كل عمل إنساني ينشد لنفسه الكمال ، وهي الفكرة الثاوية في مقال أستاذنا الجليل ، حرص مقال د. صلاح الدين على التشديد عليها بجرأة غريبة ، إذ أن " تقديس الأشخاص ، والاجتهادات الصادرة عنهم - عنده - مرض رهيب يفرض التقليد الذي يبطل منفعة العقل ، ويلزم بتكرار ما فهمه أشخاص في مرحلة لها شروطها ، وملابساتها... **وعملية النقد لا تؤدي دورها إلا إذا كانت مستمرة وقائمة على أسس وضوابط** ، فإذا أهملت حيناً من الدهر " كانت سبباً في الخراب كما يفهم من قوله (التشديد مني) ، وهي دعوة جريئة قل أن يتردد لها صدى في محفل يخشى على نفسه من "تمرد" الفكر ، ويضيق ذرعاً بالرأي المخالف .

لا يملك المرء وهو يرتاض في مرابع هذه المعاني الكريمة إلا أن يشعر بضآلته أمام هذا الفكر المتجرد ، والنظر الحي العظيم الذي يقدم في إهاب من الروحانية العميقة والحب الصادق الكبير ، ويشعر بهذا البون الشاسع الذي يوجد بيننا وبين هذه المعاني التي تحتاج إلى مربين كبار ، ينقلونها إلى الناس بتجرد كبير . وإذا أذن لي الأخوات المشرفات على باب { صوت المرأة المسلمة } أن أقول كلمتي في هذا السؤال الذي وجهوه في العدد المذكور من الرائد إلى بعض المهتمين بالشأن الإسلامي ،

فإنني أقول لهن : " كيف تستفتين البعيد وأنتن تصبحن على هذا الفكر وتمسين عليه ؟ " ، إن غياب المرأة من الميادين التي تحدثتن عنها سببه هذه الآفات التي نبهت إليه هذه الكلمات التي جاءت في المقالين المذكورين ، بخاصة مقال الأستاذ عصام ، والذي أقترح عليكن أن تجعلنه شعاراً لكنّ ، وهي نفس الآفات التي تحول دون كثير من الشباب أيضاً والحضور في ميادين الفكر والعلم والأدب . إن منع المرأة من أن تعبر التعبير المبدع عن رأيها سببه - كما نبه إلى ذلك أستاذنا - أن كثيراً من نسائنا لا يقمن بمجهود كاف لتزكية النفس بالمعنى الذي جود فيه ، فكيف يمكن أن نكسب شاعرات مع الزمن إذا لم يوجد لدينا نساء مرهفات الحس يحفظن آلافاً من أبيات الشعر قديمه وحديثه ويجلن النظر فيما حفظن ، وكيف يمكن أن يبرز عندنا قصاصات إذا لم يكن عند بعض نسائنا ظمأ كبير إلى روائع الأدب المحلي والعالمي ينهلن منه ، ويتقفين بالتأمل والدراسة تقنيات الحكي عند هؤلاء الأدباء الكبار ، فمن أرادت التجويد في فن فعليها أولاً الإلمام الكافي بتقليده : القديم والحديث والمعاصر. وهكذا ، حتى تتقدح شعلة الإبداع عند إحداهن فتفيد وتمتع وتخلد ما يستحق الخلود من الخواطر والأحداث . لكن لعل هذا لا يكفي فإن قصور المجتمع عن أن يقدم يداً حانية مخلصة للموهوبات من نسائنا - بسبب أفكار ترسبت مع الزمن في " لا شعورنا الجمعي" ، وجعلت قلوبنا تطير شعاعاً كلما هب من هنا أو هناك صوت امرأة يحمل ما لم يألفه ذوقنا العليل وتربيتنا القاصرة - عائق كبير من عوائق الإبداع ، إلا أن يرفد العناد المحبوب هذه الموهبة ، ويرافقها ثورة على الذميم من التقاليد ، كما نرى عند بعض النساء اللواتي يفرضن أنفسهن على الساحة العلمية بكبرياء وعناد ، فتحضر معاناة تضاف إلى معاناة الإبداع الكبير ، قد تهدر الجهود وتشل الطاقات ، وقد ينطلق معها الإبداع في آفاق رحبة . إن حضور المرأة في هذه الميادين التي ضجت بأدبيات ضخم الإعلام أسماءهن ليهيئ الفضاء لقبول تأثيرهن ، رغم زيف الكثيرات منهن إما أن يكون بنوعيات متميزة فيتم النهوض المأمول ، وإما أن يستمر الغياب فتظل الكبوة وتستديم . لكن ، ما العمل ؟ وهذه المحاضن التربوية التي نبه إليها الأستاذ صلاح الدين في مناسبة سابقة على صفحات مجلة الرائد ، تفعل فعلها الخطير في كثير من المسلمين إن لم يتدارك الله خلقه ويرحمنا...

وبعد ، فلا شك أن عزاء المسلمين أولاً وأخيراً في كتاب ربنا الذي فجر منذ القديم ولا يزال يفجر مواهب من لزمه قراءة وتأملاً بحساسية كبرى وانفعال عميق ، ... وعزاؤهم في هذه الشخصيات الكبيرة المنبثة هنا وهناك من أرض الله ، والتي " تملأ الدنيا" بمواهبها ذات المجال المغناطيسي الواسع

الذي يتجاوز حدود المكان ويوشك أن يخترق حدود الزمان... وعزاؤهم في هذه المعاني العظيمة التي نستضيء بها - ما وسعنا ذلك - كلما طاف بنا طائف من تخلف قاتم...